فخري كريم، ولدوره في تشويه صورة اليسار، ولموقعه في سلطةٍ جاء بها الاحتلالُ الأميركيّ.» ثم يضيف: «لكنّ النصر في هذا النوع من المعارك لا يكون في المحكمة. تُرى، مَن يعتقد اليوم، رغم قرار المحكمة ضدّي، أنّ فخري كريم على حقّ في موقفه وموقعه؟!»

مَنْ يحمي الكلمةَ الحرّة ويمنع عنها التهجير؟ مَنْ يحمي الإعلامَ الحرَّ الملتزم؟ من يردّ لبنانَ إلى نطاقه الطبيعيّ كنطاقٍ ضمانٍ للفكر الحرّ؟

«رح جرّبْ كفّي» [سأحاول أن أُكْمِل]: تلك العبارة التي قالها سماح أمام ضريح سهيل تُثلج قلبي وعقلي وقلوبَ الكثيرين وعقولَهم، وتدعونا إلى مواصلة النضال الشريف والكلمةِ الصادقة.

صحافيّ لبنانيّ،
جريدة البناء، ٢٠١٠/٣/٨

❖ ❖ ❖

الطاهر لبيب — لأنّ الآداب ليست من ثقافة العابر!

العزيز سماح،

مشكلة الآداب أنّها ليست من ثقافة العابر. لا أظنّ أنّ محاصرتَها هي من جهةِ جرأتها في مواجهة السائد من استسلام العرب، في الفكر والسياسة، بقدْرِ ما هي من جهةِ ثباتها واستمرارها. إنّ ما أثار غضبَ المعنيِّ بافتتاحيّتك ليس مضمونَه ـ فقد سمع ما هو أدهى على ما يبدو ـ وإنّما هو أن تَحْملَ ما كتبتَ مجلّةٌ لها هذا الثباتُ والاستمرار. لو كتبتَ ما كتبتَ، ولكنْ في وسائلِ عُبور، لخفّفَ العبورُ وطأتَه أو أنساه. المشكلة إذًا أنّ مراقبةَ العابر سهلةٌ، أو هي لا تُبقي أثرًا، وأنّ رقابةَ المُقيم يَبقى المقيمُ شاهدًا عليها.

في ثقافة العابر يفتّش الفكرُ كما تُفتّشُ أمتعةُ المهرِّبين. فقد تكفي الشبهةُ، فيَمْنع الكتابَ عنوانُه. لا وقتَ للمضمون، وإنْ وُجِدَ فلا قدرةَ للمفتّش، أغلبَ الأحيان، على فهمه. لقد تشنّجت الرقابةُ في وجه الفكر، كما تشنّجتْ على الحدود. من هنا جاءت فكرةُ التسرّب والاندساس، ولو بين السطور. ثقافةُ اليوم ثقافةُ عبور. أنظرْ إلى هؤلاء الذين يصولون ويجولون فيها ويخرجون، في كلّ يوم، شاهرين عليكَ أفكارًا بلا فكر. إنّهم العابرون، تحمي ما يقولون تسليةُ الناس، قبل عبورهم، وتسليةٌ بعدها، فلا يبقى ممّا يقولون شيء!

أنت محقٌّ في أن تضع محاكمَتَكَ في سياقٍ فكريّ عربيّ أعمّ. وأنت محقٌّ أيضًا في التنبيه إلى أنّ مَنْ لا يساند فكرًا حرًّا يُستفرَدُ به يومًا. ومهما يكن، فالمساندةُ ليست، في نهاية الأمر، شخصيّةً بقدْرِ ما هي مساندةٌ لرمزيّة الآداب: تلك الرمزيّة التي دَفعت السلطةَ، في مَواطنَ أخرى، إلى التسليم بأنّ «ڤولتير لا يُسجَن،» وهي التي تدفع المفكّرَ العربيَّ إلى القول بأنّ الآداب يجب أن لا تكونَ عابرةً وأن لا يُسجنَ ثباتُها واستمرارُها.

مفكّر تونسيّ،
رسالة شخصيّة في ٢٠١٠/٣/١٥

❖ ❖ ❖

آرا خاجادور — أحرارُ العراق معكم!

الرفيق العزيز سماح إدريس المحترم،

تحيّة وتقدير،

علمتُ بنتيجة المحكمة في الدعوى المخجلة وغير النبيلة المطروحة ضدّك. أقول: هل هنالك أشرفُ مِنْ أن تتضمّن لائحةُ الاتهام ضدّك قضيّةً مشرّفةً هي دفاعُكَ عن شعب مظلوم، هو منكَ وأنتَ منه؟ من جانبي، وجانب العديد من رفاقي، نرى أنّ مثلَ هذه المحاكمات عرسٌ للثوريين، لأنها مناسبةٌ لفضح الفاسدين والمتشبّهين بالطغاة.

إنّ إصرار مَن وقفوا ضدك على مقاضاتك إنما هو في الواقع إصرارٌ على الوقوف ضدّ كلّ حَمَلَةِ الفكر والرأي النزيه والكلمةِ الحرّةِ والشريفة. إنه إصرارٌ على محاكمةِ كلِّ مَن لم ينكّسْ رايةَ الثقة بالشعب العراقيّ ونضالِه العادلِ ضدّ الاحتلال وخدمه.

إنّ إصرارَ مَنْ هم ضدك على إجراء المحاكمة يَعْكس ضعفَهم وضغينتَهم وحالةَ ضياعهم. فهم لم يحترموا القضاءَ يومًا، وإنما يلجأون إليه للنكاية بالقضاء نفسه وبالخصم الحرّ معًا، وكمحاولةٍ رعناءَ لإطفاء الغليل البدائيّ والمتخلّف والأرعن.

هم في إصرارهم على محاكمة سماح إدريس حَكَموا على أنفسهم. يكفيك فخرًا أنّ أحرارَ العراق وبلاد العرب معك، كما أنتَ معهم. ولا تقلقْ من شهود الزور الذين حاولنا ثنيَهم عن هذا الدور المعيب، ولكنْ دون جدوى، إذ توهّمنا بأنه ما زال في القَدْرِ بعضُ ماء، ولو قطرةٌ واحدة.

مرةً أخرى لك كلّ التضامن والتقدير، من أحد أبناء العراق الكادحين.

أكبر الشيوعيين العراقيين سنّاً،

وأقدمهم بين الأحياء في عضو الحزب الشيوعيّ العراقيّ،

رسالة شخصيّة في ٢٠١٠/٣/٨

❖ ❖ ❖

هنيئًا لكم بحُكم المحكمة وهنيئًا لـ الآداب بحُكم التاريخ

غسّان بن خليفة

كما كنتُ أتوقّع، أدان القضاءُ اللبنانيّ مجلّةَ الآداب ورئيسَ تحريرها د. سماح إدريس ومديرةَ المجلّة السيّدة عايدة مطرجي. لكنّ ما لم أتوقّعه هو ضخامةُ الغرامة المحكوم بها (٤٠٠٠ آلاف دولار أميركيّ لكِلا «المُتهَمَيْن»!) في قضيّةٍ تتعلّق بمقال رأي، وردتْ فيه إشاراتٌ عرَضيّةٌ، من دون اتّهامٍ مباشرٍ لصاحب الدعوى الناشر فخري كريم.

من المهمّ، بدايةً، التأكيدُ على إصرار صاحب الدعوى على عدم إسقاطها، رغم اعتراض المئات من المثقّفين والإعلاميين والقرّاء العرب، الذين وقّعوا «ميثاقَ شرف بين أنصار الكلمة الحرّة،» ورغم ما هو معروف للجميع من الظروف الماديّة الصعبة التي تعيشها المجلّة: فـ الآداب هي غيرُ المجلاّت والمنابر ودُور النشر العربيّة المُسبَغ عليها من نِعَم أموال نفط «محور الاعتدال» و«الليبيراليّة الوهابيّة» (والمصطلح البليغ هو لأسعد أبو خليل)، فضلاً عن الأموال «المجهولة المصدر»؛ إذ هي تعيش فقط من وفاء قرّائها، ومن قوتِ أصحابها القابضين على جمر الثقافة الحداثيّة (بمعناها التحرّري الرافض للاستعمار والهيمنة، لا حداثيّة «المُتلبرلين الجُدُد» العوراء).

من غير المجدي الخوضُ في حيثيّات القضيّة وقرار المحكمة، ولا الاعتراضُ على وجود «محكمة مطبوعات» في بلدٍ تُفاخر طبقتُه السياسيّة الطائفيّة بديمقراطيّته الفريدة عربيّاً. فساحةُ المعركة الحقيقيّة بين سماح إدريس وفخري كريم تجري في فضاءٍ آخر: فضاءِ «الثقافة العربيّة التقدّميّة.» فكلاهما يشار إليه عمومًا على أنّه مثقّفٌ تقدّميّ، أو ما يرادف ذلك بشكل أو آخر (مثل: حداثيّ، عقلانيّ،...). وهنا كان النصرُ، منذ البداية، لسماح إدريس ولمجلته العريقة ولما يمثّلانه من تيّار ثقافيّ نقديّ ثائر على السائد العربيّ البائس. إذ رغم استضافة أكثر من قناةٍ فضائيّةٍ «نفطيّة» للسيّد فخري كريم، واستبعادِها لسماح إدريس، الطرفِ الآخرِ في القضيّة ـ وفي ذلك دليلٌ إضافيّ على «لبيراليّتها» ـ، فإنّ هذا الأخير لم يَرفضْ إعطاءَ «حقّ الردّ» لكريم؛ بل فتح صفحاتِ مجلّته وموقعَها الإلكترونيّ، ناشرًا مقالاتِ مَن دافعوا عن صاحب الدعوى، رغم ما تضمنّه أغلبُها من بذاءاتٍ وتهمٍ سخيفة. وفي ذلك أبلغُ درسٍ عن مدى ديمقراطيّة الطرفيْن وحداثيّتيْهما وليبراليّتهما.

لكن الأهمّ من ذلك أنّه، رغم اختلال موازين قِوى المال والمنابر والعلاقات بين رافع الدعوى و«رافضها،» ورغم الشهرة الإعلاميّة لبعض الأقلام التي دافعتْ عن الأوّل، فإنّ قضيّة الدعوى فَجّرتْ موجةً ـ قد تكون غيرَ مسبوقة ـ من التضامن مع مجلّة الآداب ورئيسِ تحريرها: موجةً امتدّت من المحيط إلى الخليج، فإلى المهْجر، وتعدّدتْ ساحاتُها من الصحافة المكتوبة إلى فضاء الإنترنت. فرأينا المئات، بل الآلافَ، من المواطنين والمواطنات العرب، ممّن لا يعرفهم إدريس، ولا يربطهم به غيرُ الموقف الشريف، كهولاً وشبابًا، يُمْضون على عرائض المساندة. وفي مبادرةٍ تلقائيّةٍ معبِّرة، قام بعضُ الشباب اليساريّ العربيّ من تونس ـ وهم على فكرةٍ لم يصفّقوا يومًا لديكتاتوريّة صدّام حسين ولا استفادوا من «كوبونات النفط» ـ بنشر صورٍ لهم، على موقع «فيس بوك،» واضعين أمام صدورهم مجلّةَ الآداب، وكأنّها نيشانُ شرف. وهي فعلاً كذلك!